المحطات التجارية الليبية وأهميتها في نشر الثقافة العربية الإسلامية بأفريقيا خلال القرن التاسع عشر

د. سعيد عمر المدني
جامعة الجبل الغربي-
ليبيا

Abstract:

State of Tripoli occupied the West during the nineteenth century a special place and a link between the north and the south, west and east, and between Europe and the country beyond the desert, when the German traveler G Rotifs stated that it wants to control the Sudan and Chad must capturing the Tripoli He is right in saying, it represents the northern gateway to the African continent.

Keywords:

The trip - special place - African continent - northern gateway - the Grand Palace.

احتلت ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر مكانة مميزة وحلقة وصل بين الشمال والجنوب والغرب والشرق، وبين أوروبا وبلاد ما وراء الصحراء، وعندما ذكر الرحالة الألماني **G Rotifs** أنه من يريد أن يتحكم في السودان وتشاد يجب عليه الاستلاء على طرابلس الغرب فهو محق في قوله، لأنها تمثل البوابة الشمالية للقارة الإفريقية [1] كما زار

أغلب المدن التجارية الواقعة في الصحراء من شرق البلاد إلى غربها ونظراً لأهمية الموضوع نحاول في هذا المقال طرح عدة تساؤلات منا :

1. أهم المحطات التجارية لتي لعبت دوراً في نشر الثقافة.
2. الدور الذي لعبه الموقع الجغرافي لليبيا في مساهمة في نشر الثقافة الإسلامية.
3. أهم الطرق التجارية التي ساهمت في ذلك.
4. أهم الروابط التي تربط هذه المحطات مع المحطات الإفريقية.

ولهذا تمتعت المراكز التجارية بأهمية كبيرة في تنشيط التبادل التجاري مع البلدان الإفريقية بالإضافة إلى نشر الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي.

أهمية التجارة:

تفيدنا الكثير من المصادر العربية بأن الإسلام قد انتشر في أماكن وصل التجار المسلمون إليه في مطلع قدومهم إلى أفريقيا، خاصة عندما ازدهرت الحركة التجارية [2].وغير الموقع الجغرافي لمحطات التجارية، يربط المدن التجارية في أفريقيا مع المحطات التجارية ولاية طرابلس الغرب، التي تعد هي المنطلق لرحالات التجارية إلى أفريقيا[3].

وإن أهم ميزة تميزت بها المراكز التجارية من خلال الموقع الجغرافي لليبيا الذي أعطاها دوراً متنوعاً وحيوياً في نشوء حركة تجارية هامة في التبادل التجاري والاتصال الحضاري الذي تم من مناطق في غرب أفريقيا ووسطها، حيث نجد بعض المدن كونها معبراً للطرق القوافل التجارية وأحكام الصلة بين الواحات المنتشرة في الصحراء الليبية والمناطق الآخر وكانت التجارة الليبية لمحطات التجارية تمتد من الشمال عبر الطرق الآتية :

1. طرابلس- غدامس – سودان.

2. طريق جبل نفوسة- غدامس- ناواملة- كاوكاو- غات حيث يبدأ هذا الطريق من أحدالمدن الفرعية في جبل نفوسة وهي شروس، وغدامس وهي من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية فهي أحد طرق القوافل التجارية التميزة إلى الجنوب وتأتي كل الطرق المتجه لبلاد السودان (4).

كما تعلقت علاقات جبل نفوسة مع بلاد السودان الغربي والأوسط بحكم التبادل التجاري فأتيحت ظروف الاختلاط جعلت الطرفين يتفوق على ثقافة الآخر، وكان من أهم العلماء الذين بذلوا جهود مضيفة في نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان الغربي هو بحي الفرسكاوي من الذين يتاجرون في بلاد السودان الغربي (5).

3. طرابلس – غات- أزعبين – سودان .

في هذا البحث نحاول تسليط الضوء على أهم المراكز التجارية المنتشرة في طرابلس الغرب من أهم هذه المراكز التجارية وما الدور الذي لعبته في نشر الثقافة الإسلامية مع بقية البلدان الإفريقية؟ وما دور الطريقة السنوسية في نشر الإسلام؟ هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها حسب ما توفر لدى من مصادر ومراجع، خلال سياقنا لهذا البحث.

أدى الاختلاط والتمازج لبروز عنصر بشري لا تزال ملامحه واضحة بين السكان حتى الوقت الحاضر ولعل أهم الطرق التجارية التي اعتمد عليها القرماليون في استيراد المنتوجات الإفريقية هو طريق طرابلس- تشاد الذي يخترق عدة واحات منها واحة غدامس ومرزق وغات وبالإضافة إلى الطرق الفرعية الأخرى التي تمتد إلى إقليم النيجر

عبر الواحات منها غدامس(*) [6] وطريق طرابلس – برنو، مروراً بفزان(*) والطريق الذي يبدأ من غدامس إلى بلاد السودان ن طريق غات [7]. ويعتقد أحد الباحثين أن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير بطرق التجارة الواصلة من بلاد المغرب، وبلادالسودان عبر الصحراء الكبرى أو على طول الساحلي الأطلسي إذ قامت هذه الطرق بدورها في نشر الإسلام من بلادالسنغال وأعالي البحر ومنطقة بحيرة تشاد [8].

هذا التأثير لم ينقطع طوال العهد الإسلامي، وكانت الجمعيات الإسلامية الجديدة التي تنشأ في السودان تقوم بدورها في نشر الإسلام في المناطق الواقعة إلى الجنوب عن طريق التجارة والطرق التجارية.

وقد أسهم التجار في امتزاج الثقافة الإسلامية مع الشعوب التي خالطوها فأثروا في نطاقتهم وعاداتهم وسلوكهم الشخصي وغالباً ما ينتهي بذلك إلى دخول كثير من الزنوج إلى الإسلام، ولذلك كاد الإسلام أن يتركز في المراكز التجارية الهامة وفي المدن الكبرى وبعض هؤلاء التجار كان يجمع من التجارة والعلم، فإذا ما استقروا في بعض الأماكن أنشاؤا فيها مدارس لتعليم القرآن الكريم وإنشاء المساجد وقاموا بمزاولة النشاط الاقتصادي [9].

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن المراكز التجارية أدت دوراً مهماً في نشر الإسلام في الشمال الإفريقي، وارتباطها بالطرق التجارية التي تصل شرق أفريقيا بغربها كما هو الحال في وادي النيل الذي يرتبط بطرق شرق أفريقيا.

أهم المحطات التجارية التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في أفريقيا:

اكتسبت العديد من المناطق الداخلية في ليبيا(*) بالغة نظراً لوقعها على طرف المواصلات البرية المتجه من الشمال إلى الجنوب وبالعكس، وهي محطات تجارية لراحة الدواب واستبدالها، فالموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب الذي يتوسط منطقة الشمال الإفريقي والتي عادت ما يطلق عليها بوابة أفريقيا الشمالية والمعبر الرئيسي لقارة الإفريقية نحو أوروبا عبر موانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط وهذا الموقع كان له دوراً بارزاً في وسط وتوثيق الاتصالات من الساحل والصحراء من جهة، ويمثل حلقة الوصل من مناطق ما وراء الصحراء وجنوب أوروبا من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى ازدهار المحطات التجارية عبر الصحراء، حيث شهد استتباب الأمن كل الطرق البرية للعوامل التجارية ووجود البضائع المستوردة والتي تأتي إلى الولاية عبر الموانئ البحرية كانت أهم الطرق الصحراوية التي بين الشمال والجنوب حتى نتمكن بين هذه الطرق التي ساهمت في التبادل التجاري وكذلك في نشر الثقافة الإسلامية عن طريقها:

1. **طريق طرابلس – برنو:** ويعد هذا الطريق من أقدم الطرق المؤدية إلى بلدان ما وراء الصحراء، حيث يبدأ هذا الطريق من طرابلس ثم غريان – إلى مرزق عاصمة فزان ولذلك اتجه بني وليد – سوكنه إلى برنو ويعد هذا الطريق من أشهر الطرق وأكثرها أمناً وأشهر هذا الطريق إلى حوالي الثلث الأول من القرن التاسع عشر (10).

2. **طريق طرابلس** – تميكنتو : وتنطلق القوافل التجارية عبر هذا الطريق مارة بعدة محطات تجارية لمحضر غدامس، وسينادن وسبها إلى الأراضي الجزائر يراثون ومنه إلى سوكوتو وكاشنه ميلاد الهوسا (11).

هذه الطرق الذي ساهمت في التبادل التجاري ونحاول تسليط الضوء على أهم المحطات التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في أفريقيا [12]

محطة طرابلس:

من أهم المراكز التجارية حيث تأتي في المرتبة لأهمية التجارية منذ عهود موغلة في القدم، ومما حد المدن الثلاث التي أسسها الفبيقيون (جرانواويا – وليتس) فقد كانت ملتقى القوافل التجارية التي تتبادل فيها السلع عبر مينائها ويتم توزيعها إلى أفريقيا مع السلع القادمة من اوروبا وأيضاً إلى مواطن استهلاكها ن كما مركز للوكلاء التجاريين لدى دول العالم المتعددة من العالم عربياً وأوربياً وأفاريقياً ونظراً لكثافة الحركة التجارية يها فكثرة المشاكل الأمر الذي أدى إلى قيام محاكم تجارية فأنشئت في 1858 أول محكمة تجارية، وذلك من أجل حل المشاكل التي نشئت نتيجة للاستقلال من بعض الوكلاء التجاريين سواء عرب أو يهود من حيث الاستقلال والاحتلال عنها [13].وكانت أهم الطرق لهذه المحطة التي تعميرها القوافل التجارية، طرابلس- غات –أرغين – سودان وكذلك طريق طرابلس باتجاه مرزق ثم نيستي واواو جانقا ووادي [14].

في هذا الصدد لعبت هذه المحطة التجارية دوراً هامًا في نشر الثقافة الإسلامية عبر هذه القوافل التجارية القادمة من الجنوب الإفريقي عبر المحطات التجارية التي سنحاول ذكر أهمها.

1. محطة غات(*):

تعد غات من ضمن المراكز الت جارية التي ساهمت في نشر الإسلام في أفريقيا لوقوعها عند ملتقى الطرق البرية لتجارية المؤدية إلى أفريقيا، حيث تعد معبراً تجارياً للسودان وأفريقيا، الوسطى وتميلتو(*) إذ حمل التجار العرب المتبعون لقوافلهم شعلة الإسلام إلى المناطق الإفريقية فيما وراء الصحرء ، ونشروا معارفهم وثقافاتهم وتقدمهم الحضاري والمادي والمعنوي في كافة الميادين، لأن التاجر العربي كان يمثل التاجر والداعية للعقيدة الإسلامية في آن واحد، وسع تزايد أعداد التاجر وتزاحمهم مع السكان المحليين، قامو في تلك المناطق فأنشأت المساجد والكتاتيت والمدارس الدينية فموقع هذه المحطة على اهم طريق وهو طريق الحجيج الذين يتوافدون من المغرب الأقصى، ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية من خلال الزيارات المتبادلة من مرور الحجيج بقصد بيت الله الحرام .

2. محطة سوكنة : (*)

تعد هذه المحطة مركزاً تجارياً هاماً للدخول مباشرة إلى بلاد السودان كما أنها تتوسط جميع المحطات التجارية المنتشرة في مختلف الأراضي الليبية.

ترجع أهمية سوكنة كواحة تتوسط مناطق الشمال والجنوب للولاية طرابلس الغرب ، الأمر الذي جعلها محطة تجارية نشطة من طرابلس وفزان، ولاحظ أحد الرحالة الأجانب عدة وجود الشبه بين سوكنة وغدامس (15)، منها: إن التجار في سوكنة كما هو في غدامس يعدون أهم حلقات سكانهما، وقد أعطى هذا الموقع المتميز لتلك الواحة سمة تجارية، ساهمت في الاتصالات بين برنو ووسط الودانن وذلك من خلال عبور الطرق التي تربطها بزويلة الواقعة مشرق فزان، كما ساهم

سكان تلك الواقعة بشكل رئيسي في نقل تجارة طرابلس إلى فزان عن طريق تجار فزان وطرابلس.وكذلك ارتبط مع سوكنة الجغرافي بمرو القوافل التجارية بها، الأمر الذي أدى إلى ارتباطها بالمرفقات التجارية داخل الولاية، مثل مرزق وزويلة وتراغن وغات وزلة، وقد ساعد ذلك لاتصال على إقامة علاقات تجارية معها [16].

وقد أعطى الموقع الجغرافي لسوكنة سمة تجارية لبعض الواحات التي تمر بها الطرق البرية ومرور القوافل التجارية بوجه عام، ومرورها بطريق برنو وسط السودان بوجه خاص، وذلك عبر الطريق البري التجاري مع برنو، فتمر على سوكنة ومنها إلى زويلة ثم إلى طرابلس، كما ساهمت هذه الواحة في نقل تجارة طرابلس إلى فزان حيث شاركهم في ذلك بعض من تجار فزان وطرابلس وذلك عبر الطريق البري المعروف عند الأهالي بالطريق العامر " التي تمر بورفلة وسوكنة كما ترجع أهميتها إلى أنها كانت مصدراً رئيسياً لتزويد القوافل التجارية التي تمر عبر الطرق البرية وغيرها [17] وتزويد القوافل التجارية بالحراس والأولة الذين لهم خبرة في المسالك الصحراوية ودروبها، فقد أدت الثورات التي اندلعت في منطقة الجبل الغربي كثورة غومة المحمودي (1850–1858) إلى فقدان الأمن وعرقلة سير القوافل التجارية عبر طريقها، الأمر الذي أدى إلى نقص في السلع وكذلك احتلال التوازن من العرض والطلب، مما أسهم في ارتفاع الأسعار خطراً لعدم استتباب الأمن، لقد تأثرت هذه الواحة بالظروف لسياسية وعرقلة سير القوافل على الطرق البرية الت تمر عبر واحة سوكنة مما أدى إلى ارتفاع الأسعار داخل المدن، إلا أن أهلها كانت لهم طرق وأساليب في كيفية التعامل ومعرفة الطرق التي لم تنقلها تلك

الظروف السياسية وخير دليل على ذلك هو تعاون أحد التجار وبعض الأدلاء مع الرحالة هنري يارث الألماني والرقاص المصاحب له [18].

وقد وجد الطريقة السنوسية منطلقاً لها من الواحات الليبية كواحة الجغبوب والكفرة في نشر الإسلام في المناطق الإفريقية وخاصة تشاد فكانوا يوقدون السكان لمنطقة وادي للتعلم في زاوية الجغبوب ثم يعودوا كدعاة في بلادهم الأصلية، ونشأ من ذلك أن أهل وادي صاروا يترددون في الزوايا ووجد سلطان وادي من مصلحته أن يكون أحد أكثر إتباع المحصلين للطريقة التي احتكرت تجارة القوافل التي كانت تتخذ من طريق بنغازي الكفرة أيشه تحت شعار التضامن الإسلامي [19].

ومما يؤكد على نشر الثقافة عن طريق هذه الواحة أن الحاج عمر السنوسي العزالي كان في مكتبه ما زيد عن ثمانين مجلد في ذلك يريد بها أعمار أسواق برنوح (برنو) على سبيل المثل لا لحصر تفسير القرآن الكريم خمسة أجزاء مثل البخاري **110** جزاء مسائل للشيخ عليشي جزاءات وغيرهم كثر [20].

3. محطة غدامس (*) :

تشتهر هذه المحطة التجارية لكونها ملتقى للعديد من الطرق التجارية حيث تصلها القوافل التجارية من أربعة اتجاهات عبر الصحراء كطريق وطرابلس وطريق غات . تعد محطة غدامس من أقدم المحطات التجارية، حيث يذكر بأن الدراسات الاكتشافية فإن التواصل والتفاعل بين الصحراء والأقطار المتخامة لها يعود إلى عهود غابرة في التاريخ، وزاد هذا التفاعل بعد الفتح الإسلامي مناطق الشمال والجنوب عبر الصحراء [21].

كانت مدينة غدامس الطريق المفضل القادم إلى الصحراء وهي محطة رئيسية لاهالي المدن الساحلية للتوغل في الصحراء الكبرى وكانت هذه المحطة بمثابة مناء يرى تأتي إليه القوافل محملة بالمنتجات الإفريقية فيفرغ هذه البضائع وتستفيد بها بضائع أخرى وهي منتجات قادمة الشمال عبر البحر الأبيض المتوسط [22]. وتعد من أهم الواحات في بلاد المغرب الأدنى ، وكانت تسمى سيد موسى .

تقع هذه الواحة على الطريق المؤدي إلى غدامس وتمثل غدامس شريان هاماً ليس بتدفق التجارة بحسب بل هي أداة لنقل الثقافة والمفاهيم الحضارية وسط الحمادة الحمراء، عند ملتقى أودية ميمون، تاناروت، مغرغر، وهي محطة لاستراحة القوافل التجارية، وذلك لوجود الماء في حوضها صيفاً وشتاءاً ، وقد قام الرحالة الألماني غيرها ردرولفس، في رحلته من طرابلس إلى غدامس **1865–1867** استبدال الإبل التي استعملها في رحلته فيها، ولواحة غدامس أهمية بالغة كموقع يربط بين الساحل ودول السودان وذلك لاهتمام الأهالي بالتجارة [23].حيث أخذ تدفق التجار على هذه المحطة من جهة وغنيكت بمالي من جهة أخرى، في الغروب الوسطى، الأمر الذي يؤكد أن الصحراء لم تكن بوقاً حاجزاً أمام التواصل والاتصالات وهذا ما أوضحته الدلالات التاريخية.

وهذا الموقع الجغرافي المتميز جعلها تلعب دوراً هاماً من الناحية التجارية لمنطقة غرب أفريقيا، حيث نالت شهرة وثروات كمركز تجاري متقدم في قيادة تجارة القوافل من الشمال والجنوب، وكذلك كمركز لملتقى الطرق البرية لتجارة القوافل، وتعد غدامس من المعاير الهامة لتلك القوافل التجارية فلا فترة موغلة في القدم، إذا اعتمدت غدامس على

حياتها الاقتصادية علي التجارة وزارها العديد من الرحالة من بينهم الرحالة الإنجليزي الكسندر جوردن لينج في أول رحلة له عام 1825م، خلال العهد العثمانيين حيث قال عنها (إنهم شعب تجاري عقبى الكلمة، بارعون في استخدام الحوالات والكمبيالات ويتحملون الربح والخسارة وتمتد تجارتهم إلى مراكش والجزائر- تونس- طرابلس- مصراته في الشمال وإلى السودان وتنيكت وحتى مالي في الجنوب [24]. ومن أسسها مات غدامس في نماذج الثقافة هو وقوعي على الطرق الصحراوية المارة بها، ومن بينها الطريق الرابط بين القيروان- ورفلة- غدامس – ثوات- غات- مرزق- بلما – النجيمي [25].

ومن مفيد القول أن هذه الطرق ساهمت مساهمة مقال في نشر غاز الثقافة العربية الإسلامية وكان لها دور كبير في توثيق العلاقات والصلات من العرب والسودان الأوسط سواء كان ذلك لنقل حضارته أم لتعزيز الروابط التجارية أم بإمداد شعوب المنطقة بدماء جديدة نتيجة للتجهيزات البشرية المتعاقبة والتي أخذت هذه الطرق المشار لها لمنافذ منها: ولا شك فيه أن هذه الطرق لم تكن من ابتكار قوافل القرون الوسطى، بل كانت توجد منذ فترة موغلة في القدم ، كما أن الصحراء أو الفيافي لم تكن بلا ماء ؟أو عشب بل توفرت فيها المياه، في بعض الواحات التي تعد مراكز تجارية ومن هنا تطرح تساؤلاً مفاده ماذا كانت تحمل القوافل التجارية المتجهة مع هذه الطرق وماذا كانت تجلب إلى البلاد؟

للإجابة على هذا التساؤل نحاول للرجوع إلى بعض الكتب التاريخية يتبع الصلات عبر العصور التاريخية ولوقوع هذه المحطة على الطرق الصحراوية، حيث جعلت الصحراء جسراً للروابط بين الشمال

والجنوب، ولتدفق هذه الهجرات المتبادلة، حيث غت وازدهرت هذه الحياة وكانت العلاقة من ليبيا حالياً، والتي كانت تسمى ولاية طرابلس الغرب أذبان الحكم العثماني أكثر من غيرها لوقوعها في ملتقى الطرق التجارية ، كما أسلفت وخاصة غدامس التي تعد محطة لتجميع وتوزيع القوافل التجارية المتبادلة ، وازدادت عملية الاتصالات بدخول الإسلام إلى دول الجنوب واعتناقهم الدين الإسلامي مما أسهم في كثرة الوقود شمالاً وجنوباً، الأمر الذي جعل هذه المنطقة (غدامس) بوابة مفتوحة للتبشير بالدين الإسلامي ونشره في أفريقيا، ومنذ نشأتها قامت بدور فكري وثقافي رائد (26).

مما تجدر الإشارة إليه في منطقة غدامس كانت طرقها أمنة مما شجع الرحالة الأجانب في الإقامة والاستقرار بها وسهل لقوافل العلماء والكتب غيور هذا البحر الرملي، الذي لولا القوافل لم يستطع أحد عبوره إلا أن القوافل التي سهلت عبوره وأصبح معبراً بعيرة التجار مع بضاعتهم والعلماء والكتب والتيارات الفكرية من الشمال إلى الجنوب والعكس، وأصبح التاجر هو الداعي وبيده اليمنى مصحفه الشريف، واليسرى سلعته، ويصاحب العلماء ويسهل لهم الإقامة، لوجه الله تعالى، ليسهل لهم بلوغ مرامهم وهو نشر الدين الإسلامي وثقافته عن طريق التعليم والوعظ والإرشاء والفتاوي الدينية (27)..ومن يفيد قوله أن انتشار الإسلام في ليبيا بعد الفتح الإسلامي مباشرة هو اختفاء المسحية لم تكن عميقة الجذور في نفوس سكان الصحراء الكبرى.

فكان إسهامات طريق غدامس في تأثيره في مدى نتيكت يبشر اللغة العربية خير دليل على ذلك، اشتهار العلماء الذين ألقوا كتبهم

باللغة العربية ووصلت إلى إيادينا كأمثال أحمد بابا التنيكتي- السعدي- وغيرهم كثر ... حيث وصف الرحالة أهمية طريق غدامس –نتيكت في نشر الثقافة الإسلامية (28)

وبهذا نجح العرب في توطيد علاقاتهم بأفريقيا سواء كان ذلك في شرق القارة أو غربها أو وسطها ومع توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية انتقلت الحضارات العربية الإسلامية إلى عدد من الشعوب الإفريقية انتقالاً مباشراً وكان ذلك عن طريق الاحتكاك التجاري غير المباشر.

4. محطة فزان :

تعد فزان من أهم المحطات التجارية ومعبراً للحجاج القادمين مع طريق الحجيج وللحاج القادم من بيت الله الحرام بمكة لأداء المناسك في وقت معلوم من السنة المعروفة، فكانت فزان تمثل ملتقى الطرق العابرة إلى مكة المكرمة، التي أعزها الله سبحانه وتعالى.

وتتميز هذه الطرق من شمال غرب افريقيا والسودان الغربي، والسودان الأوسطن فكانت فزان من المناطق الحيوية بالنسبة للتجارة والحجاج المسافين على طول الخط هذا الطريق فالطرق التجارية التي تربطها أفريقيا ما وراء الصحراء بشمال القارة وشرقها هي المعابر الحقيقة التي تسرب منها الإسلام وحركة البحرات والمتبالات التجارية ومن ثم انتقلت المؤثرات والأفكار والثقافات بين الشعوب والمناطق المختلفة وهذا جعل العديد من الكتاب والباحثين يربطون بين حركة التجارة وانتشار الإسلام في أفريقيا (29)

انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا :

ازدادت الأوامر والعلاقات وترسخت عبر الإسلام إلى القارة الإفريقية: فأجتاز الإسلام الصحراء، واتجه صوب الغرب والشرق في وهلة سريعة اذهلت المؤرخين واعتنقه الأهالي بسرعة، فأقت تصور المراقبين، فقد انتشر الإسلام في غرب القارة، وكان أول وجود الإسلام في مناطق كانو –برنو–يعود إلى 666م وهي السنة التي وصلت فيها طلائع عقبة بن نافع إلى قادا، وأغلب الظن أن الطريق سلكه عقبة بن نافع وجنوده، كان يربط من طرابلس وكانوا دكان هذا الطريق فيما بعد يمثل قناة يتدفق من خلال التأثير الإسلامي من كانو– برنو إلى مناطق أخرى من السودان الوسط(30).

ولكن من أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار الإسلام وترسيخ التواصل الثقافي من المسلمين بعضهم ببعض وبين أهل الديانات الأخرى هي المبادئ الإسلامية التي يؤمن بها المسلم، ويلزم نفسه بتطبيقها فعلاقة الإخوة والمساواة والاهتمام بشئون الآخرين والعمل على مساعدتهم تأتي في المقدمة المبادئ الإسلامية وهذه المبادئ تساوي بها المسلمون جميعاً.(31)

وبانتشار الإسلام ثم انتشار اللغة العربية لغة الحديث والمخاطبة والكتابة ومن المورث قبل الإسلام كانت الزعامة الثقافية في جزيرة العرب تنازعها الفنن اللغة العربية الجنوبية واللغة العربية الشمالية، وإن هذا التنافس انتهى باضمحلال لغة الجنوب بعد أن اضمحل الدول العربية الجنوبية في ميدان السياسة والاقتصاد وانتقلت زعامة الشمال وإنها تعرضت منطقة الشمال الإفريقي إلى موجات من الهجرات البشرية المتتالية منذ قرون عديدة قبل الإسلام وقد انطلقت هذه البحيرات من

شبه الجزيرة العربية وهذا يؤكد على أن الوجود العربي في المنطقة الشمالية من أفريقيا يرجع ما قبل الإسلام (32).

وكان للهجرات الفنيقية من بلاد الشام والذين استوطنوا شمال أفريقيا ، وفي قرطاج بالتحديد بداية الأمر، ثم توسعت هجراتهم إلى بقية الجوار، وكان هناك اتصالات بين غرب شمال أفريقيا والصحراء حيث عبر القرطاجيون الصحراء بحثاً عن التجارة واستوطنوا هناك ونزوجوا بقاء محليات وهذا ما يؤكد، المؤرخ الفوتس ديلافوس delafossc لدعم هذا الاستدلال حول تأثير اللغات السامية على اللغات السودانية لفترة تعود ما قبل الإسلام إلا أن هذا التأثير وفعاليته تأكد دعمه بعد انتشار الإسلام واللغة العربية في بعض المناطق ما وراء الصحراء (33).

وبعد اللغة العربية أقدم لغة حية في العالم وتحتل المرتبة السادسة من بين لغات المتحدثين بها، وتؤكد كتب التاريخ أن اللغة العربية كانت أحد لغتين في العالم القديم الذي يمثل أفريقيا وآسيا وأوروبا وأصبحت لغة الشمال لغة الآداب والخطابة والفكر الراقي (34). ولكن يثار هنا سؤال مقادة لماذا نترث اللغة العربية في منطقة الشمال الإفريقي بكل سهول ويسر وتأثير بها شعوب المنطقة

كما توطدت العلاقات الثقافية بين المغرب العربي دولة مالي، وبكفى أن نذكر هنا إنه كان يجمعها مذهب ففهي واحد ، وهو المذهب المالكي ، وكان فقها العرب دائماً على اتصال بفقها السودان الغربي، لتبادل الفتاوي والتأليف والرحلات، كما أن اتصال غدامس بالمغرب العربي كان لغدامس دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية واللغة إلى بلدان السودان الغربي (35).

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازادت المراكز الدينية للحركة السنوسية حيث عمت وساعدت على نشر الثقافة الإسلامية في دول الصحراء حيث وصل عدد المراكز الدينية المتمثلة في الزوايا في ولاية طرابلس الغرب وبالتحديد بطرابلس 45 زاوية وفي فزان والكفرة على أقصى الحدود النوبية بحوالي 21 مركز حيث وصل مجموعها إلى 146 زاوية للتعليم الديني بما في ذلك زوايا في تونس ومصر والسودان (36).

في هذا الصدد حاول الولاة العثمانيون بأن يتصدوا للردود الفعل من قبل تنافي الحركة التبشيرية التي أقامتها الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وإيطاليا التي كانت تنوي احتلال تونس وليبيا، فأقامت عدة مدارس تعليمية دينية يدرس فيها الطلاب القرآن الكريم والحساب والجغرافيا وذلك لتصدي لهذه الرحلة الخطيرة من قبل المستعمر (37). فكان دور القبائل دوراً في عروبة تشاد (38)

ومما سبق ذكر يتضح أن الطرق البرية التجارية لم تكن حلقة وصل تربط العرب والأفارقة اقتصادياً فحسب وإنما كانت بوابة عبور الثقافات، إذ توافد من خلال شتى العلوم والمصارف، وعن طريقها عبر الإسلام، من ديار العرب ليستقر في داخل أفريقيا والثقافات وتلاحمت الأفكار وتبادلت الأمم موروثها الثقافي الاجتماعي، بل وتظاهرت للنتائج جيلاً يحمل خصائص العرب والأفارقة ويتسلح بالثقافة العربية أفريقية.

ومن مفيد قوله أن انتشار اللغة العربية في معظم أفريقيا ساعد ذلك بدخول الإسلام إليها، فأينما حل الإسلام حلت اللغة العربية لأنها لسانه وأداته في مخاطبة الآخرين، علاوة على كونها لغة العلم والحضارة

والتاريخ. (39) ونشير أيضاً إلى أهم الروابط التي تربط بلدان المغرب العربي والمشرق العربي هي اللغة الواحدة والجغرافيا الرابط الطبيعي لهذه البلدان والتاريخ المشترك والرابطة الثقافية والاجتماعية التي ربطت ولا تر الترابط أقطارها ببعضها لبعض (40)

الإحالات:

[1] – رولفس ، رحلة عبر أفريقيا رحلة من البحر المتوسط، إلى بحيرة تشاد وإلى خليج غيتا، ترجمة: عماد غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سبها، **1974**م، ص**90**.

[2] – سامية أبوعجيلة العجيلي، دور المؤسسات الثقافية في مجتمع ولاية طرابلس الغرب خلال العصر العثماني الثاني، جامعة طرابلس، **2007**، رسالة ماجستير غير منشورة.

[3] – حسن الشيخي، الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي من القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، مملكة مالي الإسلامية أنموذج، رسالة ماجستير جامعة طرابلس **2003**م، ص**47**.

[4] – محمود كردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على السودان الغربي، منشورات دار الكتب الوطنية، **2008**م، ص.

[5] – المرجع السابق نفسه، ص**263**.

(*) غدامس: تقع هذه الواحة في الحدود الجنوبية الغربية لليبيا حالياً " وقد دخلها الإسلام مبكراً، واشتهرت بموقعها الاستراتيجي الهام كطريق للقوافل التجارية ومواكب الحج بين بلاد السودان الغربي والأوسط والمشرقي والجنوبي وقد وضعها كل من صاحب الاستبصار والحق الوزان لمزيد من الإيضاح ينظر : الاستبصار في الأمصار، تعليق: سعد زعلول، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ص**985**.

[6] – حسين أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، **1986**م، ص**210**.

(*) فزان: تقع وسط ليبيا حالياً إلى الجنوب من مدينة طرابلس، وقد كانت مركزاً تجارياً وحضارياً هاماً ، وقد ارتبط بعلاقات مختلفة مع السودان الغربي، وقد وصفها الوزان بأنها منطقة كبيرة جداً مكونة، فيها قصور كثيرة، ينظر: سعد غيث ، الثقافة

العربية الإسلامية في مجتمع السودان الغربي، خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، السادس عشر والسابع عشر للميلادي، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات التاريخية ، القاهرة، **2003**، ص**48**.

[7] – بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة: عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، **1991**م، ص

[8] – توماسأرنولد، الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة، **1957**م،

[9] – تيسير بن موسى، المجتمع العربي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب ، **1988**م، ص**81**.

[*] طرابلس الغرب: تجدر الإشارة إلى أن اسم ليبيا قد أطلق منذ البداية للاحتلال الإيطالي، **1911**، أما قبل ذلك فتسمى طرابلس الغرب

[10] – حسن المدن كريم: علاقة ليبيا ببلدان ما وراء الصحراء في عهد يوسف باشا القرمانلي فيما بين **1795**–**1832**، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس، **2005**، ص**23**.

[11] – المرجع السابق نفسه.

[12] – المختار الجدال، طرق تجارة القوافل في ولاية طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الثاني **1835**–**1911**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ ، جامعة صنعاء، اليمن، **2003**، ص**40**.

[13] – تيسير بن موسى، مرجع سابق ، ص**170**.

[14] – سامية أبوعجيلة العجيلي، مرجع سابق ذكره، ص**31**.

[*] غات: تقع في الجهة الجنوبية الغربية من ليبيا حالياً وعلى حدود الجزائر ، وهي تعد محطة تجارية هامة للقوافل التجارية القادمة من غدامس إلى السودان الأوسط والغرب،.

[*] تقع تنيكت في الجهات الشمالية من دولة مالي، وفي إطار التأصيل المفاهيم في تاريخ هذه المنطقة فإن تنبكت هي التسمية الصحيحة لهذه المدينة وليس تمبكتو Timboctou كما وردت في كتابات الغربيين والميم مثل توماس أرنولد، ودبيوا، وبارث وغيرهم نبط انظر: أمطير عيب مرجع سابق، ص**139** وبعدها.

[*] سوكنة: هون وودان واحة منخفضة وتعتبر واحة الجفرة الثلاثة أجزاء مع مجموعة واحدة خط عرض **290** والتي تمتد من غدامس جنوباً حتى الجغبوب شرقاً وإلى الجنوب الشرقي من طرابلس والركن الشمال الشرقي لأطراف فزان، لمزيد الإيضاح:

ينظر: مختار عفيف، سوكنة خلال العهد العثماني الثاني، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، **2002**، ص**25** وما بعدها.

[15] – المختار الجدال، مرجع سابق، ص**90**.

[16] – رحلة عبر ليبيا، فردبك هورغان، الرحلة من القاهرة إلى مرزق، **1817**-**1898** ، مكتبة الفرجاني ، ليبيا، **1968**م، ص

[17] – ألكسندر مولدن، رحلتان عبر ليبيا، ترجمة دار الوفاء، طرابلس، **1974**م، ص

[18] – أعمال الندوة العلمية، مرجع سابق، ص**85**.

[19] – محمد بشير سويسي، غدامس من خلال كتابات الرحالة والمؤرخين، تقديم نورالدين الثني، أعمال الندوة العلمية التاريخية حول تاريخ مدينة غدامس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، **2003**، ص**118**.

[20] – عبدالسلام أبوسعد، العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، أعمال الندوة العلمية ندوة التواصل الثقافي الاجتماعي من الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الآداب انطوان، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، منشورات الدعوة الإسلامية.ص.

(*) غدامس: يفتح أوله ويضم أخره، وهي عجمية بربرية، فيما أحسب، وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبه ضاربة في بلاد السودان، بعد بلاد زعوان، تزيغ فيها الجلود، القداسية وهي منأجود أنواع الدباغ لا شي فوقها في الجودة كأنها بنات الخزنى النعومة لإشراف في وسطها عين أغلبها نبات عجيب رومي بغض الماني بها وبقسمة اهلها أقساط معلومة، المدني سعيد عمر، مدينة غدامس ودورها التاريخي خلال القرن التاسع عشر، بحث في المؤتمر الدولي السابع من التجارة والتجارة المنستير، **2014**، ص**2**.

[21] – محمود حسن كرودي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي من القرن(**2**-**8**هـ/ **8**-**14**م) بنغازي **2008**م، ص**260**.

[22] – حسن أحمد محمود، الإسلافة والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، **1986**، ص**20**.

[23] – المدني سعيد عمر، مدينة غدامس ودورها التجاري، المجال المؤتمر الدول السابع ، الجمعية المتوسطية بتونس حول التجارة والتجار، المنير **2014**، ص**6**.

[24] – عماد غانم، غدامس في رحلة رولفس الأول إلى ليبيا أواخر **1864**م، أعمال الندوة العلمية التاريخية ، تقديم : نورالدن الثني، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، **2003**، ص**241**.

[25] – المرجع السابق، نفسه.

[26] – محمد سعد الطويل، مرجع سابق ، ص**89**.

[27] – المرجع السابق نفسه.

[28] –مصطفى البابور، غدامس التحضر والقاعدة الاقتصادية ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، **1975**م، ص**60**، وكذلك : بشير بوشع، غدامس وثائق تاريخية واجتماعية، منشورات مركز جهاد الليبيين، **1982**، ص**25**.

[29] – أحمد محمد كان، مظاهر الاتصالات الفكر والثقافة في شمال إفريقيا من ليبيا ووسط السودان، مجلة البحوث التاريخية ، العدد **1**، السنة الثالثة، **1981**، ص**16**.

[30] – مرايل أبوبكر علي، طرق القوافل وأثرها في تقوية الثقافية من ليبيا وجيرانها في الجنوب الصحراوي ﴿أعمال الندوة العلمية التي عقدت في المغرب، تطورات مرجع سابق، ص**85**.

[31] –نفسه.

[32] – محمد علي عيسى، التواصل الثقافي من شمال أفريقيا وبلدان ما وراء الصحراء خلال العصر الوسيط ، التواصل الثقافي من ضفتي الصحراء الكبرى في أفريقيا، تأليف محمد عيسى وآخرون، منشورات الجامعة المغاربية ، دار الوليد، **2004**، ص**25**.

[33] –بروشين ، مرجع سابق، ص**344**.

[34] –المرجع السابق، ص**360**.

[35] محمد الضوء، دور القبائل الليبية واليمنية في عروبة تشاد، التواصل الثقافي ، مرجع سابق، ص**291**.

[36] نفسه.

[37] نفسه.

[38] نفسه

[39] – حسن علي الشيحي، الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي من القرنين الثالث عشر والخامس عشر ، مملكة مالي الإسلامية نموذجاً ، رسالة ماجستير ، جامعة طرابلس، **2002**، ص**136**.

[40] –عمر التومي الشيباني، وقائع الثقافة الصوفية في شمال أفريقيا ، أعمال ندوة التواصل الثقافي من الأقطار العربية، منشورات الدعوة الإسلامية ، طرابلس، **1998**، ص**111**–**113**.